**الأميرة النائمة أو الجمال النائم (The Sleeping Beauty)

**باليه في ثلاث فصول وأربع مناظر موسيقا: تشايكوفسكي (Tchaikovsky)

النص: ماريوس بتيبا (Marius Petipa) وإيفان فسيفولوجيسكي(Ivan vsevolojsky)،
تصميم الرقصات: ماريوس بتيبا، الملابس فسيفولوجيسكي (vsevolojsky).
عرض لأول مرة ١٦ يناير ١٨٩٠ علي مسرح مارينسكي بمدينة سانت بطرسبورج.

شخصيات الباليه

الملك فلورستان الرابع والعشرون King Florestan xxiv
الملكة
كانتالبوت، رئيس التشريفات Cantalbutte
جنية غابات الصنوبر.
خادمها النبيل.
جنية زهر الكريز.
خادمها النبيل.
جنية الطيور الطنانة.
خادمها النبيل.
جنية العصافير المغردة.
خادمها النبيل.
جنية القرنفل.
خادمها النبيل.
جنية شجر الإجاص.
خادمها النبيل.
جنية شجر الليلاق.
خادمها النبيل.
كارابوس؟ الجنية الشريرة Carabosse
خادماها.
فئرانها الأربعة.
مربيات الأسرة المالكة.

وزراء.

خدم نبلاء في القصر الملكي

منادي الملك.

طبيب الملك.

وصيفات القصر.

الأميرة أوروورا.

الأمير الاسباني.

الأمير الهندي.

الأمير الايطالي.

الأمير الإنجليزي.

الكونتيسة.

الأمير الفاتن.

بييريت Pierrette

كولومبين Columbine

بييرو Pierrot

هارلكان Harlequin

القط ذو الحناء Puss-in-Boots

القطة البيضاء.

العصفور الأزرق.

الأميرة المسحورة.

القلنسوة الحمراء.

الذئب.

ذو اللحية الزرقاء.

آريانا Ariana

الأخت آن Sister Anne

شهرزاد Scheherezade

الشاه

أخوه

الأميرات الخزفيات

الموظف الصيني

إيفان الطيب واخوته.

وصيفات الملكية، لوردات، غلمان من النبلاء، خدم من الزنـــوج، فتيـــات قرويـــات، فتيـــة قرويون، دوقات، نبلاء، بارونات، ماركيزات، ومـــاركيزون، صـــيادون، حوريـــات، خـــدم، صديقات الأميرة أورورا، سيدات البلاط، كبار الشخصيات في البلاط إلخ.

المنظر الأول

التعميد:

في داخل قصر الملك فلورستان الرابع والعشرين، إلى اليمين وإلى اليسار مجموعات متتابعة من أعمدة رخامية عالية تحمل عوارض حجرية كبيـــرة عليهـــا زخـــارف مذهبـــة، وهـــذه العوارض تدعم سقفا علي شكل قبة هائلة، وهناك عدة مداخل تؤدي إلى الغـــرف الـــسكنية ويتكون المدخل الرئيسي من ثغرة تتوسط الصف الخلفي من الأعمدة، أقيمت عندها بـــضع درجات تميل بزاوية وأقيم عدد من الحراس الزنوج عند هذا المدخل، يحملون رماحاً، فـــي طرف كل رمح رأس بلطة، ويرتدون ثياباً نفيسة وسراويل منتفخة حمراء وسوداء وذهبية.

وفوق ذلك يمتد درج فسيح إلى مدي البصر، وعلي مسافات متساوية تلتف الدرجات حـــول بسطات متسعة، وتلوح علي بعد نقط وخطوط حمراء تشهد بوجود جند مسلحين بالبنـــادق، وهم من رجال الحرس الملكي، قد قاموا في مراكزهم يؤدون واجبهم، وإلى يسار هذا المنظر باب كبير مزدوج مزدان بالبرونز، وفوق الباب مباشرة، نافذة من تلك النوافـــذ المـــستديرة المحشوة والمصفحة بالرصاص، وتسمي "قمريات"، وفائدتها إبراز تمثال برونزي قائم علي قاعدة، وإلى يسار المنظر الخلفي باب ونافذة بالوصف السابق إيراده، وعلي الجانب الأيمن درج قصير يمده درابزين عريض مقوس، وعلي الدرجة العليا، مهد ذهبي، ترقد فيه الطفلة الملكية تطوقها تلك الأشياء التي ترمز إلى القوة والسلطان فمنها تاج ذهبي فـــوق رأســـها، وشريط أزرق ينتسب إلى طبقة الأشراف مثبت بعرض القماط، وعلـــي رأس المهـــد ركنـــة مرتفعة من قطيفة، لها كنار من فرو القماقم، وفوق ذروتها تاج ذهبي، وإلـــى يمـــين هـــذا الدرج منصة عليها مقعدان مذهبان.

وقد ألتف بالمهد المربيات الملكيات يرتدي بعضهن ثيابا زرقاء، والبعض الآخر ثيابا وردية اللون، وقد أمسكن بأطراف أشرطة ذهبية اللون يجذبنها فيؤرجحن المهد بحركة منتظمـــة، ويقف طبيب الأسرة المالكة عن كثب وهو يرقب الطفلة بأهتمام، وقد اســـتقر علـــي أنفـــه عوينات سوداء، وفي ضميره شعور عميق بالمسئولية، فنراه يتحرك بخطوات متئدة، ويلوح

بيديه الغائرتين في قفازين، ثم يحكمها إرتياحا، وهو يتأمل الطفلة الملكية، وأطرافها القوية، تلك الطفلة التي أقيمت من أجلها هذه الحفلة الرسمية.

وفي منتصف البهو، يقف كانتالبوت، رئيس التشريفات، وهو شريف من الأشراف، طويل القامة، محني الظهر، يرتدي معطفاً وسراويل برتقالية اللون في سواد، تتهدل من فوقها سترة كثيفة ذات لون ذهبي قاتم، قد بطنت حواشبها بفرو القماقم، ويطوق وجهه المكدود المتغضن شعر مستعار رمادي اللون، وعلي عينيه هو أيضا عوينات، فقد كل بصره منذ زمن بعيد لكثرة ما كان يفحص الوثائق والسجلات المحررة علي الجلد الرقيق، وهو رجل مثالي من حاشية الملك، عالم نحرير، لا يعرف اللين ولا يقبل التسامح في قواعد السلوك الرسمية، وقد يكون فضولياً، أو صلفا، أو ذليلا، مداهنا، تبعا للظروف ومقتضيات الأحوال ونراه يهز طيات سترته بإحدي يديه، ويحمل بالأخري لفة من جلد رقيق.

تصدح الأبواب منادية بوصول الضيوف، ويردد السقف المقبب أنغام لحن سير(مارش) مهيب، وفي هذه اللحظة يتدفق سيل الضيوف هابطين الدرج القصير الأوسط: فمنهم سيدات من الطبقة الراقية، يرتدين ثيابا من الحرير الموشي والأطلس، وشعورهن المستعارة المعفرة بسمحوق الزينة الأبيض قد كللتها تيجان ذهبية أو بعض ريش النعام، وفي رفقتهم أشراف يرتدون حللا سوداء اللون وقرمزية.

وكلما وصل ضيف إلى البهو، تمعن كانتالبوت في مسجله الملفوف، وأثبت حضوره، وإنه ليحتفي بكل زائر فيحني قامته إنحناءة كبيرة، يرد عليها الزائر بإنحناءة أخري خفيفة، أو يرفع قبعته ذات الريش بحركة رشيقة، ثم يسير بكل واحد منهم إلى المكان الذي يتناسب مع مكانته ورتبته، ثم يطوي السجل ويستعد لإستقبال الملك، وقد أعلنت الأبواق الصادحة عن اقترابه، يدخل من الجانب الأيمن سيد يرتدي حلة زرقاء فاتحة اللون وفي يده صولجان، وخلفة أربعة من فتية الأشراف، في حلل وردية اللون، ثم يدخل الملك، بقامته الفارعة، ومظهره الجليل، وقد أشتمل بمعطف طويل من القطيفة الزرقاء الداكنة المبطن حاشيتها بفرو القمام، ويرفع ذيل ثوبه فتيان من الأشراف، وبعد فترة قصيرة تصل الملكة مرتدية ثوباً من الأطلس الأبيض، ويتدلي من فوق كتفيها معطف من قطيفة زرقاء فاتحة اللون موشاة بالفضة، ويسير خلفها إثنان من فتية الاشراف، وفي معيتها أربع من الوصيفات وعدد من الخدم، وفي مؤخرة الموكب حرس من الزنوج يلبسون حللا سوداء وذهبية، وقد شد حول خصر كل منهم منطقة عريضة زرقاء، ويدور الملكان حول البهو، فينحني الحاضرون أمامهما، إحتفاء بهما وتبجيلاً لهما، فيرد المكان التحية بانحناءة خفيفة من الرأس، ويتخذ الملك طريقه إلى المهد، حتي إذا أدركه إنحني فوق الطفلة النائمة، ثم يستدير

ويقفل راجعا حتي يقف أمام العرش وتقتدي الملكة بمليكها، وتقبل إبنتها الصغيرة، ثم تعود فتقف إلى يمين الملك، وتجثوا السيدات في انحناءة رشيقة، أما السادة الأشراف فإنهم يخلعون قبعاتهم ويجلس الملك والملكة في كرسيهما وعندئذ يرتب الفتيان الأشراف رداءي الملكين، ويستقرون راكعين عند أقدامهما.

وتصدح الأبواق من جديد فيتقدم كانتالبوت بين يدي الملك، ويعلن عن وصول الجنيات، فتدخل أولاَ جنية الغابات الصنوبرية، ترتدي نقبة قصيرة مصنوعة من أوراق الصنوبر الموسقة بالثلج، بيد أن الثلج قد سقط في بعض المواضع فكشف عن لمحات من الورق الأخضر الذي تحجبه في مواضعه الأخري سترته الشتوية.

ويتعلق بذراعيها معطف أخضر طويل يبرق بما عليه من صقيع ناصع، ويدخل في إثر جنية غابات الصنوبر صديقاتها، في خطو سريع، فنري جنية "زهرة الكريز" في ثوب أبيض، تزينة عناقيد الكريز الصغيرة، وذيل ثوبها محلي بثمار الكريز، ثم جنية "القرنفل" في ثوب أبيض أهدابه مذهبة، وعلي رأسها إكليل ثلاثي من ريش وردي اللون، وذيل ثوبها فضي اللون، تليها جنية "العصافير المغردة" في ثوب أصفر، وتنظم شعرها ريشات برتقالية اللون، وذيل ثوبها أصغر كذلك، وبعدها جنية " الطيور الطنانة"، في ثوب أبيض مطرز بألوان حمراء وسوداء، وذيل ثوبها برتقالي ضارب إلى الحمرة، وأخيراَ جنية "شجر الإجاص" في ثوب أبيض مخطط بسطور عمودية في أقواس مرجانية، وذيل ثوبها قرمزي، وعلي رأس كل جنية تاج من ذهب له ثمان شعب مدببة، ويرافقها فتي من النبلاء يحمل هدية التعميد التي سوف يقدمها.

وحين تدخل كل جنية، وتنحني إنحناءة خفيفة أمام الملك، ثم تمضي في طريقها فترتقي الدرج الذي يؤدي إلي المهد، ثم تنحني فوق الطفلة النائمة وتتمتم بعبارة سحرية: فتؤكد إحداهن أن الطفلة سوف تكون أجمل مخلوقة علي وجه الأرض، وتقول أخري إنها ستكون في رقصتها أكثر رشاقة من أرق جنيات فصل الصيف، وتتنبأ ثالثة بأنها سوف تغني بصوت أحلي من تغريد البلبل، وتؤكد رابعة بأنها سوف تكون صنوا لأورفيوس.

وهكذا نري أن الأميرة التي لم تبلغ من العمر أكثر من بضعة شهور، قد وهبها الله الكثير من النعم التي يكافح الناس في سبيل إدراك واحدة منها، طوال حياتهم، ويتقدم الفتية النبلاء يحملون هدايا التعميد فوق وسائد حريرية ويقدمونها وهم راكعون علي ركبهم، أما الهدايا فإنها تتوافق مع شخصية مانحها: فمن بينها أصغر شجرة صنوبر، وأبدع شجرة قرنفل، وأجمل عصفور صداح، في قفص من ذهب وكلما قدمت هدية، صفق الحاضرون لها إستحسانا.

وتتغير الموسيقي إلى ألحان ذات إيقاع حي نشيط، وتشرع الوصيفات في الرقص، فيتقدمن مثني مثني، بينما تتشابك أذرعهن وتتحرك أماما وخلفا ببطء، ثم ينطلق كل زوج منهن علي شكل دائرة ذات اليمين وذات الشمال، وعندما يصلن إلى قاعدة الدرج الأوسط، يشكلن صفاً واحداً، ثم يتقدمن بحركات سريعة تؤديها أقدامهن، وأوضاع بديعة تتخذها أذرعهن، وينتقلن بالخطو من جانب إلى آخر إلى أن يختمن الرقص بمجموعة فاتنة، عند هذا يقفز الفتية إلى وسط البهو، ويثبتون في الجري، ثم يخطو كل منهم حتي يصبح وراء إحدي الوصيفات، فيتناول يدها، ويديرها ببطء حول نفسها، ثم يرفعها إلي أعلا وينزلها علي أطراف قدميها، ويديرها ببطء مرة ثانية، وتزداد سرعة الموسيقي، وترتفع حرارتها بالتدريج وتستحث الراقصين علي الحركة بخطوات وقفزات سريعة نشيطة، ثم ينفصل الراقصون والراقصات، ويختلطون بعد ذلك علي شكل نجمة، ثم ينفصلون ليجتمعوا بعد ذلك في وسط البهو، متخذين وضع استرخاء برئ المظهر، عند هذا تصدح الأبواق فيأتي زائر جديد ويخطو هابطا الدرج العريض! تلك هي جنية زهرة الليلاق، لابسة نقبة قصيرة صفراء مزركشة الحواشي بشريط عريض من لون قاتم مزين بأوراق أشجار فضية، وعلي رأسها تاج فضي، ويتدلي علي ذراعيها ذيل أرجواني يحمله إثنان من فتية الأشراف، ويستقبلها كانتالبوت بإنحناءة كبيرة ويقودها إلى حيث يجلس الملك، فتحني رأسها إجلالاً له، ثم يزيل الفتية ذيلها، وتلتف الجنيات الأخريات حولها، ويحيينها تحية الصديقات المخلصات.

عند هذا تنشط الجنيات كلهن، ويشكلن صفاً واحداً تتوسطه جنية زهر الليلاق، وخلف كل جنية خادمها الفتي النبيل، ثم تدور كل جنية حول نفسها الواحدة بعد الأخري، بحركة سريعة، ويحبو كل فتي على ركبة واحدة ليتلقي مولاته الجنية بين ذراعية، وتحرك الجنيات أذرعهن في وضع أرابيسك، ثم ينهضن علي أطراف الأقدام، ويدرن بتؤدة علي أنفسهن، بمعاونة فتيانهن، أما جنية زهر الليلاق فإنها تتقدم نحو وسط الدار، ومعها فتاها، في حين تشكل باقي الجنيات حولها مربعاً أجوف، وترتفع كل جنية علي أطراف قدميها، وتدور علي مهل، وهي في هذا الوضع ذاته، في حين تعلو جنية زهر الليلاق في الجو يحملها خادمها الفتي، ثم تهبط إلى الأرض، وتدور حول نفسها.

وفجأة تصدح الأبواق، فتزداد سرعة الأداء وتنتظم الجنيات جنباً إلى جنب في صف واحد، ويتحركن اماماً وخلفاً بخطوات سريعة نشيطة في حين يقفز فتيانهن الواقفون خلفهن من جانب إلى آخر، ثم يثبتون إلي أعلا ويدورون في الهواء حول أنفسهم، وفي النهاية تؤدي الجنيات حركة جماعية تختتم بها الرقصة، ينتقلن بعدها إلي يسار العرش، وتحيي كل جنية هيئة البلاط الملكي بإنحناءة خاصة، هنا تتغير الموسيقي فنعزف لحناً واهناً بطيئاً فتتقدم

جنية غابات الصنوبر علي مهل فوق أطراف قدميها، وذراعاها مرفوعتان إلى أعلي،وتتحرك ذات اليمين وذات الشمال، وتتوقف من لحظة إلى أخري مائلة برأسها وذراعيها إلى الخلف في وضع بديع، ثم تدور علي مهل بحركات متتابعة وتسقط إلى الأرض علي ركبة واحدة ورأسها مطأطئة، وذراعاها مضمومتان إلى صدرها.

تتغير الموسيقى فتصير مرحة ونشطة، وتظهر جنية زهر الكريز، فتتقدم بوثبات سريعة علي كلا القدمين في حين تنطلق الساق المرفوعة في حركة دائرية، ثم تدور بحركات متتابعة، تبدأ متمهلة، ثم تزداد سرعتها حتي تنتهي الرقصة.

وتؤدي جنية زهر القرنفل الرقصة الثالثة، فتنتقل بخطوات قصيرة سريعة علي نغمات تعزف بجذب الأوتار بالأنامل (Pizzicato)، وتبرز الإيقاع بخطواتها، ثم تنطلق إلى الأمام علي قدمها اليسري، وتطوح قدمها اليمني أماما حتي تصبح علي زاوية قائمة، وذراعاها مقوستان فوق رأسها، ثم تطوح ساقها المرتفعة بحركة سريعة إلى الخلف. ثم تقف وذراعاها ممتدتان، وإحدي ساقيها مرتفعة.

ويتغير اللحن إلى "زغردة" غريبة تليها جلجلة معدنية تؤديها آلة المثلث، فترقص جنية "العصافير المغردة"، وتتحرك اماما وخلفاَ بسرعة وتومئ برأسها إيماءات قصيرة وسريعة، وترفرف بذراعيها.

ثم تخرج جنية "الطيور الطنانة" فتتحرك بسرعة مدهشة، وتزداد سرعة الايقاع زيادة مطردة، تتناسب مع سرعة الرقص، ويرتج رأس الجنية من جانب إلى جانب في حين تتبسط إصبعيها السبابة، في كل يد من يديها، ثم تنطبق، ثم تستدير إلى أعلي وإلى أسفل فتذكرنا حركاتها هذه بحركات الطائر الجوال وهو منطلق في الجو إنطلاقة سريعة.

ومن الجانب الأيمن تنزلق جنية "شجرة الإجاص" فترقص متنقلة علي خط مائل فوق الأرضية، في حين ترتفع إحدي القدمين ببطء، ثم تنخفض ثم ترتفع مرة ثانية. وبعد هذا تدور وتثبت جانبا وذراعاها ممدودتان، ثم تدور ثانية، وتنهض علي أطراف قدميها.

ويتغير اللحن، ومن الجانب المقابل تأتي جنية زهرة الليلاق فتثبت إلى الأمام بخفة علي قدم واحدة، في حين ترسم القدم الأخري دائرة في الهواء ثم تدور جانبا وترتفع في وضع أرابيسك، ثم ترتفع علي أطراف القدمين، وتثب في الجو، في حين تتبادل القدمان بسرعة حركة "انترشاه" Entrechat. عند هذا تعقب علي خطواتها بوثبات قصيرة تقدم بها بالتبادل علي كل من قدميها، ثم تقفز إلى أعلي وتلف حول نفسها في الهواء، وتنزل برقة إلى الأرض ثم تقفز ثانية، وتدور ثم تدور، وأخيراَ تقف وتتقدم أماما بخطوات قصيرة سريعة، وتختتم رقصتها، أما الموسيقي التي تصحبها فإنها تترجم الحركات التي تؤديها الراقصة

وتحاكي صلصلة الأجراس الصغيرة، وخرير المياة الجارية في غدير، وفي ختـــام رقــصتها تسير باقي الجنيات إلى جانبها، ويشرعن جميعا في إرتقاء الدرجات التي تؤدي إلى المهــد، وفجأة يرتفع في الجو هدير رعد بعيد، فيحملق الضيوف كل منهم في وجه الآخر، يتساءلون عن كنه هذا النبأ المشؤوم، بيد ان الجنيات يبتسمن غير مباليات بهذه الهواجس والمخاوف، ويمضين في سبيلهن، ويدوي الرعد مرة ثانية، قريباً هذه المرة، تتبعه جلبة قــوم يفــرون أشتاتا في هلع.

وينهض الملكان من فوق عرشيهما غاضبين من هذا الصخب، وهنا يثب الخادم ذو العــصا البيضاء، هابطاً درجات السلم، هذا هو رسول الأنباء الخطيرة فيعلن عــن وصــول الجنيــة الخبيثة كارابوس، متكئاً علي عصاه مقلداً مشيتها المتثاقلة وجسمها المحني، ويدب الخوف في نفوس الحاضرين، ويضع النبلاء أيديهم علي مقابض سيوفهم، ويتشاور النسوة بهمسات مرتجفة، وقد وهنت منهن القوي وشردت الأذهان، ولا يمنعهن من الفــرار ســوي وجــود الملكين.

وتدوي أبواق متنافرة تصم أصواتها الآذان، وترتفع في الجو صرخات مفزعــة، وصــفيراً حاداً، ثم تندفع داخل البهو مركبة سوداء، هيئتها مشؤومة، تجرها أربعة جــرذان رماديــة اللون ضخمة الجسم، علي رأس كل منها تاج ذهبي، ويعلو المركبة كنة سوداء، عليها حلية فضية، وفي أركانها ريشات جنائزية، وأربعة جرذان صغيرة علي مقدمة المركبة، ودلفت في المؤخرة مخلوقات في ثوب أزرق، لكل منها وجه أحمر ضارب إلى الزرقة، يزيد من غرابته أنف معقوب وذقن ناتئ تبرز منه أنياب، وذراعان حمراوان مكسوتان بشعر غزيــر، وفــي أطراف الأصابع مخالب طويلة.

يقف الجرذان فوق عريش المركبة ليساعدوا سيدتهم علي النزول منها فتنزل عجوز شمطاء متغضنة الجلد، لها أنف كمنقار الطير، وتتدلي علي طول جبهتها غدائر من شعر أشيب وقد نبت علي ذقنها شعرات هائمة. أما تعبير وجهها فإنه يتسم بالقسوة والحقد، وهــي تــسير بمشقة متكئة علي عصاها المعوجة وترتدي معطفاً أسوداً طويلاً، زينت حواشــيه بالــذهب، ورصعت بزخارف علي شكل أقمار فضية، ويتدلي من فوق كتفيها ذيل طويل أسود مبرقش بنقاط برتقالية اللون قبيحة المنظر، وتتفرس العجوز في الحاضرين، وترسل إليهم نظــرات قاسية خبيثة، ثم تقهقه قهقهة خفيضة شريرة، وتقترب من الملك وهي تهز رأسها هــزات تنذر بالويل والثبور، وتصيح قائلة "جئت أنا أيضاً لابنتك بهدية التعميد"، ومن ثم يتقدم أحــد مخلوقاتها من المنصة الملكية وهو يتمايل ويضع عند قدمي الملك قفصا ذهبيــاً مــستطيل الشكل، ويتأمل الملك القفص وجلا، ففي داخل القفص شبح أسود يتحرك، ويالللهول! إنه فأر.

وترسل الساحرة قهقهة بغيضة تنبئ عن غبطتها، ويحمل الجرذان ذيل ثوبها. وتتحرك شاخصة صوب الضيوف، وتتفحص وجه كانتالبوت، وتسأل لماذا لم يدرج إسمها في قائمة المدعوين فيتفحص الرجل المنكود الحظ في سجله الملفوف، وكأنه يدحض التهمة التي وجهتها إليه وتضيق كارابوس ذرعاً بتنهداته واضطراب أصابع يده، فترميه بنظرة حادة غاضبة ترتعد لها فرائص المسكين، فيتمتم بكلام غير مفهوم، ويهز شعره المستعار بحركة إعتذار لا تجدي، وتشير الساحرة إلى أحد مخلوقاتها، فيومئ هذا إلى كانتالبوت، بخربشة مؤلمة من مخالبه. أن يقترب ويخطو الشيخ المرعوب إلى الأمام خطوات متئدة متثاقلة، وساقاه ترخيان، فقد راحت الساحرة العجوز تحرق أضراصها وتعض علي شفتيها وتهدده بإصبع معوجه متغضنة، وتدق الأرض بعصاها دقات متبرمة، وتهدده بأقصي الوان القصاص، ويدب الفزع في قلب كانتالبوت، فيخر علي ركبتيه، ويستعطف الساحرة، ملتمساً منها الغفران، فتنحني هذه فوقه وتنزع شعره المستعار الذي يتخاطفه الجرذان، فرحين مهللين. ويلقونه بعيداً عنهم، وترتجف الساحرة مرة أخري من شدة الغضب، وتنتف خصلة الشعر الوحيدة الباقية علي رأس كانتالبوت الصلعاء، فلا يستطيع المسكين أن يبدي أي احتجاج علي هذه الإهانة التي لحقت بكرامته، وخدشت عزته، وإنما يتمتم في وهن بأصوات مبهمة، ثم تنصرف الساحرة عن كانتالبوت وتتجه نحو المهد، وهي تعرج في مشيتها، علي أنها قبل أن تقترب من الدرج تلتف حولها ست جنيات، فتقف، ثم تنظر أماماً وخلفاً في حين تشتد الموسيقي، وتعزف بقوة وعنف أنغاما تنذر بالويلات والشرور. ويتخبط الجرذان في أعقاب السحرة، ويحك كل منها أنفه، ويهرش أذنيه، ويمشط شواربه الطويلة، ويلوي ذيله الطويل، وتدنو الساحرة من الملك وتحكي له كيف أن الأميرة سوف تزداد جمالاً وكمالاً علي مر السنين، وينصت الملك إلى كلامها هذا، فيتنهد غبطة وارتياحاً، وقد أسكرته كلماتها المعسولة المنمقة، بيد أن الملكة تستبد بها المخاوف والشكوك، وتتحرك مقتربة من قرينها الذي يلاطفها ليهدئ من روعها، ويحمل الجرذان الساحرة ويرفعونها إلى أعلي، وإذا بها في طرفة عين قد غيرت لهجة حديثها، فتصيح قائلة: "ولكنها سوف تنخس إصبعها ذات يوم فتموت قطعا في نفس اليوم!" وعندئذ ينزلها الجرذان إلى الأرض وتستبد المخاوف بقلب الملكة، من مصير إبنتها فترمي بنفسها عند قدمي الساحرة وتستجدي عطفها ورحمتها، فتقبل الساحرة توسلاتها بضحكة ساخرة: ويتقدم الملك فيأخذ بيد الملكة ويعيدها إلى العرش. ومرة ثانية ترغب الساحرة في صعود الدرجات الموصلة إلى المهد، وإذ هي تتقدم بخطواتها العرجاء، تتقهقر المربيات إلى الخلف وجلات، وفجأة تلوح جنية زهر الليلاق من وراء المهد حاملة بيدها الممدودة صولجاناً لامعا، فترتد الساحرة علي مضض أمام هذا الدفاع

غير المتوقع، وتحاول أن تخدع الجنية التي تقف في سبيلها، بيد أن الصولجان لا يتوقف عن رسم قوس في الفضاء يبهر الأنظار، فيجبر الساحرة علي التقهقر باستمرار، الشئ الذي يثير غضبها، فتنادي علي جرذانها، ولكن الجرذان كانت ملقاة علي الأرض، متزاحمة، متكالبة علي بعضها البعض، يحاول كل منها عبثا أن يعثر علي ثقب ينفذ منه حتي ينجو من الومضات المؤلمة التي يرسلها الصولجان السحري، وتدلف الساحرة صوب مركبتها، وقد خاب فألها ووهنت قواها، أما الجرذان فإنها تفر إلى عريش العربة، ويتخذ المخلوقات البشعان مكانهما الخلفي، وتطوح الساحرة ذراعيها مبدية إشارة ساخطة، وتنطلق العربة إلى خارج القصر وهي تهتز وترتج من جانب إلى آخر.

عند هذا تتقدم جنية زهر الليلاق ومعها صديقاتها من الملك والملكة، وتطيب خاطرهما، وتهدئ من روعهما، قائلة إن الأميرة لن تموت، وإنما سوف تروح في سبات عميق حتي يأتيها أحد أبناء الملوك فيوقظها بقبلة، وتنهمر دموع الشكر والعرفان بالجميل من مقلتي الملك والملكة، ويشكران الجنية علي حمايتها لطفلتهما، ويلم كانتالبوت رداءها، ومن ثم ترقي الجنية الدرج المؤدي إلى المهد، وعندما تستدير فتواجه الجمع المحتشد ووجهها مشرق ببسمة هانئة، وعصاها مرفوعة أعلي رأسها، تتلألأ كالنجوم، يجثو أفراد هذا الجمهور العظيم من الوزراء والنبلاء والسيدات الجميلات، ويطأطئون رؤسهم تعبيراً عن جزيل الشكر.

الفصل الثاني

السحر

حديقة الملك فلورستان، إلى اليمين وإلي اليسار كتل متراصة مرتفعة من الأغصان والأوراق، وتتشكل الخلفية من رواق بديع ذي عمد ينهض خلفه صفوف متراصة من مقاصير ذات أبراج تحف بها أشجار السدر المدببة الخضراء، خضرة قاتمة، ولا تلمح العين خلال هذا السياج من النباتات والأشجار سوي بعض من أسوار السلالم والأعمدة الرائعة التي تدل علي أن هذه البقعة هي القسم الخارجي من قصر الملك، وإلي يمين الحديقة مقعدان مذهبان، لقد إنصرم ستة عشر عاما منذ أن طلعت الساحرة بنبوءتها الرهيبة، وكبرت الأميرة الطفلة "اوروراً" وترعرعت فغدت فتاة حلوة، طار صيتها لجمالها الفاتن ومزاياها العديدة المنوعة، وقد أقبل أربعة من الأمراء يطلبون يدها للزواج: أحدهم من أسبانيا وثانيهم من إنجلترا، وثالثهم من إيطاليا، بل ورابعهم من الهند البعيدة، وأصدر الملك أمره بإقامة حفلة عظيمة تكريما لهم، وذهب القرويون للإسهام في الحفل برقصاتهم

الشعبية، وفي هذه اللحظة ترتفع الستارة، ويشيع في الجو الأنغام المتسقة للحن الفالس، وعلي إيقاعها يرقص شبان وفتيات القرية، فيدورون مراراً وتكراراً، جذلين مبتهجين، وقد تشابكت أذرعهم، فيشكل منهم منظر يضم ألوانا حمراء وبرتقالية وخضراء، وإلى يمين هذه الدوائر الزاهية الألوان مجموعة من أربع فتيات منهمكات في فتل المغازل.

عند هذا يدخل كانتالبوت، وينحني الحاضرين، ويهز رأسه في بشاشة مع الإيقاع الراقص، ولكنه يتوقف فجأة، فقد أبصر الفتيات اللواتي يحملن المغازل، ويفغر فاه دهشة: ففي هذا الأمر مخالفة للقانون الصارم الذي صدر عقب زيارة كارابوس والذي يعاقب بمقتضاه أي شخص يضبط معه مغزل علي مسافة تقل عن ميل من القصر الملكي، ومن ثم يخطو كانتالبوت نحو الفتيات الأربعة بأسرع ما تستطيعه ساقاه المرتجفات: وينتزع المغازل من أيديهن، وينذرهن بالعقاب الشديد جزاء لفعلتهن الخرقاء، وتجثو الفتيات المذنبات التعسات، ويستعطفنه أن يصفح عن جريرتهن، ويقطع القرويون الآخرون رقصتهم ويلتفون حول الفتيات الخائفات، ويبدو إشارات اليأس والوجل، فيقف كانتالبوت قليلا ليسترد أنفاسه المبهورة، وتتوقف في الوقت ذاته جميع الإجراءات فقد وصل الملك والملكة اللذان يدخلان متشابكى الذراعين ويسير خلف الملكين الأمراء الأربعة، وأربع من وصيفات الأميرة يحملن وردا ناضرا حديث القطف، أما الأمراء فإنهم شبان في معية الصبا، يرتدون ملابس فاخرة، فالأسباني يلبس صدرة وجوارب طويلة بيضاء وبنية اللون، ويرتدي الانجليزي سترة وسراويل قرمزية، ويلبس الإيطالي حلة مماثلة ولكنها بيضاء موشاة بقصبات ذات لون أزرق باهت، أما الهندي فانه يرتدي عمامة وسترة وسراويل، لونها وردي باهت، ويستدير كانتالبوت ناحيتهم، ويتذكر الفتيات الأربع، فيخشي عليهن العقوبة الرهيبة ومن ثم يخفي المغازل المحرمة، التي تشكل جسم الجريمة خلف ظهره، ولسوء الحظ، فإن الملك يلحظ دهشا هذا الوضع الغريب الذي أتخذته يداه، فيسال عن السبب، فيضطر كانتالبوت إلي التصريح له بالحقيقة، ويتناول الملك المغازل وقد حل به الغضب، وعرف بسهولة المذنبات، من ارتباكهن وارتجافهن، فيدنو منهن، ويلقي المغازل عند أقدامهن ويعنفهن بشدة، ويذكرهن بأن عقوبة جريمتهن هي الإعدام فوراً، وعبثا يترافع رئيس التشريعات ملتمسا العفو عن جريمتهن، فيأمره صاحب الجلالة الغاضب بإلتزام الصمت، ويستبد اليأس والكمد بنفس كانتالبوت فيخر علي ركبتيه أمام الملكة، ويلتمس وساطتها لإنقاذ حياة القرويات، ويتدخل الأمراء فيرجون الملكة أن تصفح عن المذنبات، وتستدير الملكة صوب الملك، وتحدثه حديثاً رقيقاً رحيماً يرق من وقعه قلب الملك، ويبرد لظى غضبه فيعفو أخيراً عن الفتيات، ومن ثم يتخذ الملكان مجلسهما، ويعبر القرويون عن شكرهم بأداء قفزات مرحة.

ثم تذهب الفتيات إلى الرواق ذي الأعمدة، ويظهرون بعد هنية ومعهن سلال مملوءة بالأزهار البرية، وتحمل كل فتاة سلتها علي ذراعها، أما الذراع الأخري فتلف بذراع حبيبها، وعلي هذا الوجه يرقص الجميع علي موسيقي الفالس الخلابة، عند هذا ينسحب الرجال، ثم يعودون ومعهم بعض الأغصان مجتمعة علي شكل عقد، ومزينة بضفائر من الزهر يصنعون منها بائكة (طريقاَ مسقوفاَ علي هيئة عقد)، وتدور بنات القرية حول الرجال ، ثم يتخذن طريقهن تحت القوس ، وهن يأرجحن رؤوسهن بإيقاع منتظم ويطوحن أذرعهن بحركات رشقية متدفقة أما الأقواس فإنها ترتفع وتنخفض باطراد حني ترفرف أوراق الأزهار المجنحة فوق الرؤوس المتمايلة وعند هذا تنضم الفتيات إلي بعضهن البعض، ويقفن جنبا إلي جنب في صف واحد مندمج ويتبعهن الشبان اللذين يفتنون ضفائر الزهور ويلفونها بمهارة لكي يطوقوا بها أبدان فتياتهم المحبوبات، وتجثوا الفتيات بسرعة علي ركبة واحدة، وأذرعهن منبسطة بحيث تمتد السلال التي يحملنها، وكأنها هدايا ثم ينهضن ويضعن الأزهار عند أقدام الملكين وينسحبن في جماعات وهن يتهامسن .

وهنا تبعث الملكة أربعا من الوصيفات لإحضار الأميرة وتمر لحظة تعود بعدها الوصيفات مسرعات، فيعبرن المكان إلي ناحية اليسار حيث يقفن في وضع الإستعداد ويأتي النسيم العليل في هذه الآونة حاملا علي أجنحته أنغاما مشجية وترانيم عذبة تنبئ بوصول الأميرة، ويستدير الأمراء في لهفة صوب الجهة التي أقبلت منها الأصوات، وسرعان ما تدخل الأميرة الجميلة وهي تجري بين الأعمدة مرتدية ثوباَ من حرير وردي اللون مطرز بخيوط فضية، وشعرها مصفوف ومشدود بعصابة بيضاء قصيرة وشبكة من الزهور، وتنطلق إلي داخل الحديقة وهي تثب وثبات مرحة متتابعة ثم تخطو ثوب الملكة التي تضمها إلي صدرها وتقبلها، وترتب علي خدها برق، وكأنها تلومها لوما رقيقا علي مبالغتها في إظهار سرورها ثم تخبرها بقدوم الأمراء الأربعة، وتأخذها من يدها وتقدمها إليهم، وينحني الأمراء إحتراما للأميرة ويتنافسون فيما بينهم، في أدب ولباقة علي نيل شرف السبق بلثم يد الأميرة .

وترحب أورورا بالأمراء وقد فتر ثغرها عن ابتسامة لطيفة، وتسمح لكل منهم بالتوالي علي أن يساعدها، وهي ترتفع علي أطراف قدميها، وتدور بتؤدة لتنتهي في وضع أرابيسك.

وتتجه الوصيفات نحو البواكي في رفقة ثلاثة من الأمراء وفي هذه الأثناء تلتفت الأميرة نحو الأمير الاسباني الذي يسندها وهي تؤدي متتابعة في وضع أرابيسك ثم يرفعها في الهواء وهي تثني ذراعيها فوق رأسها، ثم ينزلها إلي الأرض وتعبر الوصيفات المكان إلي الناحية اليسري، وفي أعقابهن الأمراء الذين يتحايلون عليهن ليأخذوا وردة من كل منهن.

ويقدم الأمير الأسباني زهرته إلي الأميرة، فتأخذها منه وهي تدور ببطء وتواصل الدوران بمساعدته، في حين يقدم لها باقي الأمراء كل بدوره زهرته .

وتتخذ الأميرة وضع الأرابيسك، وعلي فمها إبتسامة ساحرة تهديها إلي طالبي القرب منها، ثم تقدم باقتها إلي أمها الملكة التي تقبلها بحنان وتقبل وردها، ممتدحة حسنها ورشاقتها، ثم تنسل الأميرة إلي الحديقة، ويأسف الأمراء علي إنصرافها ويبحث كل منهم في لسانه عن كلمة تصف جمالها وفتنتها أبلغ الوصف .

عند هذا تعزف الموسيقي إيقاعا نشيطاً فتخطو الوصيفات علي أطراف أقدامهن، ثم يتحركن فيتقاطعن ثم يسرن مثني مثني، ويدرن بحركة بيرويت، ثم يقفن جنبا إلي جنب في صف واحد، ثم يتباعدن عن بعضهن البعض، ويؤدين حركة بيرويت، ويرقصن في دائرة، ثم يسرن أماما في خط واحد.

وتظهر أورورا ثانية، فتدنو من الملكة التي ترجوها أن ترقص فتلبي أورورا طلب أمها، وعلي فمها بسمة، فتؤدي سلسلة من حركات الأرابيسك ثم تتوقف، ورأسها وذراعاها مائلتان إلي الخلف،ثم تدور دورات بيرويت وتنهض علي أطراف قدميها، وترقص في دائرة، وتزداد سرعة الموسيقا، فترسم أورورا دائرة متسعة وهي تؤدي متوالية بارعة من حركات "بيرويت" التي تتزايد سرعتها بإطراد، ويقف الأمراء إلي جوار صديقات الأميرة، يرقبونها وعلي وجوههم أمارات الإعجاب، وتدفعها حركات "البيرويت" إلى المرور أمام الأمراء، فيجثو كل منهم علي ركبته عندما تصير من أمامه، ويقدم لها وردة، وتتناول الأميرة الورود فتلقيها إلى الملكة، ثم تدور علي مهل بمساعدة الأمير تلو الأمير، وفي ختام الرقص، ينحني لها الأمراء تحية وتبجيلاً.

وتعود الوصيفات إلى أداء رقصة نشيطة، في حين تخطو الأميرة فتعبر الحديقة في خط مائل، عند هذا ينسل زائر جديد خفية بين القرويين الواقفين يتفرجون علي الرقص: إنها إمرأة عجوز غريبة الشكل محدبة الظهر، وتقترب العجوز خلسة من الأميرة وتفتح معطفها قليلاً فتكشف عن مغزل، وتتأمل الأميرة المغزل دهشة، فتغطيه العجوز وعلي فمها إبتسامة خبيثة، وترتب علي ذراع الأميرة، ثم تفتح معطفها ثانية وتعرض المغزل، ويستبد الفضول بالأميرة فتنتزع المغزل من يد العجوز، وترقص كالطفلة الفرحة بهدية عجيبة حصلت عليها، وهي تهز المغزل فوق رأسها، ويرقبها المشاهدون وجلين، وعلي الأخص كانتالبوت الذي يتذكر التهديدات اللعينة التي أطلقتها الساحرة كارابوس، ويشتد عزف الموسيقي بالتدريج، وينضم إليها قرع الرقاق الصاخبة.

وفجأة تشعر الأميرة بألم حاد في إصبعها، فترمي المغزل علي الأرض ساخطة، ويزداد الألم الناتج عن جرح صغير، حتى تخر علي ركبتها، ضاغطة يدها علي فمها، وقد تجمعت الدموع في مآقيها، ويهرع الملك والملكة إلى جوارها، ويلثمان يدها المجروحة لتهدئة أوجاعها، وتنهض الأميرة ببطء، وتخطو خطوات مترنحة، ثم تدور في رقصة محمومة هستيرية، ويدنو الحاضرون في جماعات خائفة، وإذا الأميرة تتوقف، ويغشي عليها، وتقع علي الأرض جامدة لا تريم، وكأنها قد لفظت أنفاسها.. ويتطلع والدها إلى عينيها المغلقتين وجسدها الساكن.

عند هذا يشد الملك قامته، ويدير وجهه ناحية أخري، ثم يرفع ذراعية بحركة غاضبة، ويأمر بالقبض فوراً علي الشخص الذي جاء بالمغزل، فلا يكاد يفرغ من قوله، حتى يري أمامه المخلوق المتشح بالسواد، فيرفع قبضتي يديه المضمومتين، وكأنه يريد أن يهوي بهما علي هذا المخلوق فيسحقه، ولكن العجوز تنزع قلنسوتها بسرعة فتكشف عن وجه كارابوس الحقود، فيرتد الملك فزعا، ويضع الأمراء أيديهم علي مقابض سيوفهم، ثم يجردونها، إستجابة لأمر الملك، ويهجمون بها علي الساحرة، بيد أنهم قبل أن يستطيعوا الاقتراب منها، تطلق في الجو ضحكة ساخرة، وتختفي عن الأبصار في غمامة من الدخان والنار، فيدق الأمراء الأرض بأرجلهم حانقين، ويغمدون سيوفهم، ويرجعون إلى جوار الأميرة الممدة علي الأرض فيندبون حظها التعس.

ويتردد بين الأشجار لحن نائح، وتظهر جنية زهر الليلاق من خلف أحد الأعمدة، وتأتي فتهدئ من روع الأبوين، وتشير بحمل الأميرة إلى داخل القصر، وبينما يتحرك الموكب الحزين علي مهل، تحرك الجنية يدها فترسم في الهواء قوساً من النور يلمع، ويرتفع دوي الرعد يعقبه الظلام، وتقف الجنية ساكنة لحظة، ثم تميل علي الأرض مشيرة بعصاها إشارات رقيقة متلطفة، وإذا بخصلات صغيرة من نباتات خضراء تحمل أزهاراً بنفسجية ضاحكة تنبت علي مهل من باطن الأرض، وترتفع النباتات رءوسها، وتزداد طولا بالتدريج وتزداد عرضاً، حتى يتكون منها جدار يحجب الجنية عن الأنظار، ولم يزل الجدار النباتي يرتفع، ومع ذلك يمكن خلال الثغرات الموجودة بين الغصون والأوراق، رؤية نباتات أخري تتسلق صاعدة في الجو، في حين تسطع ومضات من النور، صغيرة كرؤوس الإبر، تنبئ عن مكان، وهي تتنقل في مهمتها الإنسانية، وتلوح ثلمة صغيرة عند قاعدة الجدار الأول الذي تشكل من الأزهار، وتتسع الثلمة ببطء حتى يتكون منها عقد ضيق يمكن خلاله رؤية جنية زهرة الليلاق، ساكنة جامدة، وقد بسط عباءتها طفلان من أتباعها، واتجهت عيناها

صوب السماوات، وتقوس ذراعاها فوق رأسها، لحمل صولجانها البراق، ولمع جسمها تحت أشعة القمر الفضية.

المنظر الثالث

الرؤيا:

مضت مائة عام، ونحن في ختام يوم من أيام الخريف، ترفع الستار فتكشف عن ساحة وسط غابة يحدها جدول صغير، يكتنف مجراه حجارة وجزر صغير، وتمتد ذات اليمين وذات الشمال مجموعات متتالية من أشجار البلوط الضخمة، تتوه جذورها المتعرجة بين صخور ضخمة، فإذا تطلع الإنسان إلي أعلي، دهش من طول الغصون الشاردة، المختلطة، والملتفة حول بعضها البعض، حتى ليستحيل تمييزها بل يتشكل منها سقف طبيعي ، الشمس تغرب، والماء يتلألأ ويرسل الواناً كثيرة زاهية، حين يعكس الأشعة الباهتة التي تصل مائلة إلى سطحه.

تتردد في أرجاء الغابة الأنغام المرحة التي تطلقها أبواق الصيد ويتكرر النداء مراراً ، عن قرب حينا، وعن بعد حينا آخر، وتسمع أصوات تكسر الغصون وحفيف الشجيرات، منبئة بدنو جماعة تصطاد، وبعد هنيهة يطلع عدد من الخدم في ثياب رسمية حمراء وهم يترنحون تحت سلة كبيرة ملأى بحمل ثقيل، ويصل خلف هؤلاء "جايلسون" الوصي علي الأمير الفاتن، وعدد من الضيوف، يبدو أنهم قد نزلوا لتوهم من فوق ظهور جيادهم، آية ذلك أحذيتهم ذوات المهماز، وسياط الركوب التي يحملونها في أيديهم، ويلبس الجميع ثياب صيد فاخرة، ويري بينهم زوجات البارونات في أثواب زرق وخضر وبارونات في حلل زرق وذهبية، وزوجات الدوقات في أثواب ذهبية وطحينية اللون، ودوقات في حلل خضر ذهبية، أما الألوان الخفيفة فإنها تصير بارزة زاهية بظهور الأردية الحمراء اللامعة التي يلبسها الصيادون الرومان الذين يمرون علي بعد، وقد تسلح بعضهم ببنادق ثقيلة وسار البعض الآخر يترنحون وهم يحملون قوائم خشبية طويلة تدلت منها غنائم الصيد، ومنها طيور وأرانب برية، بل ودب بري.

وهنا يقبل الأمير الفاتن نفسه، وعلي رأسه قلنسوة عريضة مزينة بالريش، ويرتدي سترة وسراويل حمراء موشاة بالذهب، وإلى جانبه كونتيسة جميلة، فينحني لهما السادة والسيدات، ويقترب جاليسون من الخدم ويأمرهم بإعداد الطعام، فيبسط هؤلاء علي الأرض أقمشة بيضاء يضعون فوقها محتويات السلة الكبيرة، من صحاف، وصحون لحم، وحيوان الصيد، وكؤوس ذهبية، وزجاجات النبيذ التي يعلوها التراب،وبينما هم منهمكون علي هذه

الصورة، يتمشي جاليسون مختالا بين المدعوين، ويرسل لهم من خلفه منظاره المرتفع نظرات حادة ساخرة.

وتقترح الكونتيسة، ومعها بعض السيدات الجريئات أن ينظمن لعبة "الاستخفاء"، وتحمل جاليسون علي أن يلعب دور الصائد، بيد أنه من الواضح أن هذا الدور لا يلائم جاليسون، ذلك لأن مشيته المترنحة، ومرحه المفرط يبعثان علي الاعتقاد بأنه قد أفرط في الأكل وشرب النبيذ، ولعله كان يقصد استهلاك أكبر قدر مستطاع من هذه المواد الغذائية للتخفيف من ثقلها، وعلي أية حال، فإنا نري احدهم يتقدم من جاليسون فيعصب عينيه بمنديل من القيطان، ثم يديره حول نفسه، ويتحداه أن يمسك أياَ من الحاضرين، ويتخبط جاليسون في مشيته، وهو مبسوط الذراعين، وواثق كل الثقة من كفاءته، ولكن الموجودين يلسعونه بسياطهم، ويخبطونه ويدفعونه بمؤخرة بنادقهم حتى ليكاد يفقد توازنه، وعلي الرغم من إجتهاده ومحاولاته، فإن جلاديه الضاحكين الجذلين يفلتون دائماَ من قبضة يده وضمة ذراعه، إلى أن يتعثر فيصطدم بأحد الصائدين فيطبق عليه ذراعيه، وهو يصيح صيحة المنتصر، ولكنه سرعان ما يدرك خطأه، ويستحثه اللاعبون علي إعادة الكرة، وفي هذه المرة يقبض علي الأمير الذي يأمره بأن يكف عن هذه اللعبة التي لا تلائم طبيعته، وترتجف شفتاه بفيض من الاعتذارات، ويرفع العصابة عن عينيه، ويهز رأسه غاضباَ، ويجيب بالرفض علي إلحاح السيدات اللواتي يردونه علي أن يواصل اللعب، ويدعوه بعض النبلاء إلى تناول كأس من النبيذ، فيقبل الدعوة بخفة وإنشراح، ثم يدفع شعره المستعار إلى الخلف ويمسح جبهته بمنديل، ويروي ظمأه فيرتشف من زجاجة النبيذ بنهم وتلذذ.

عند هذا يرقص الدوقات وزوجاتهم، ثم يرقص الأمير والكونتيسة، وأخيراَ البارونات وزوجاتهم، وتثور مشاعر جاليسون بفعل الموسيقي التي تخلب الألباب، فيتمايل يمنة ويسرة، ويرفع زجاجة النبيذ في الهواء، ويلقي حديثاَ في مباهج الخمر والنساء، وفي ختام الرقص يميل أماما في انحناءة طويلة مسحوبة، ولكنه يفقد توازنه، فيحاول محاولة يائسة أن يشد قوامه، ويعتدل في وضعه، ولكنه يفشل فيقع علي الأرض بكل ثقله، ويلتف حوله أصدقاؤه وهم يتضاحكون، ويرفعونه حتي ينتصب واقفاَ علي قدميه، ويشترك الضيوف في رقصة "فارا ندول" التي يؤدونها بكل إتقان.

وتصدح أبواق الصيد من جديد فقد حان وقت الرحيل، فيبدأ الجميع في الإنصراف، وهم يتحادثون ويتسامرون، أما الأمير فإنه يبدو قلقا، مشغول البال ولا يهتم بالنظرات الضجرة التي ترسلها إليه الكونتيسة، ونراه يقرع الأرض بسوطه، وقد مال رأسه علي صدره، واستغرق في التفكير، وتحنق الكونتيسة من إنصرافه عنها، فتنهض من جواره وتبتعد عنه

ببطء، ويقترب منها أحد النبلاء فيقدم لها ذراعه، فتأخذها، وحين تبلغ نهاية الساحة الفضاء تتوقف لحظة وتتطلع بأسى إلى ذلك الوجه العابس، المهموم، المتبرم، وجه الأمير الذي تحبه.

أما جاليسون الذي تخلف عن الجمع المنصرف فإنه يدنو من الأمير ويستحثه علي الإسراع لأن الصيد قد تقدم كثيرا، ولكن الأمير يطلب منه أن يتركه وينصرف فيرمقه جاليسون من خلف منظاره، ويلمح له في وضوح بالسبب في ميله إلى الوحدة.

وإذ يلحظ ضيق الأمير وسخطه المتزايد فإنه يبتعد عنه وهو يترنح ويقهقه بصوت خفيض ويهز رأسه بما عليه من شعر مستعار هزات خجلة.

ويخفت الضوء ببطء، ولا يلبث الهدوء أن يقطعه لحن حزين نائح ينبئ بدنو جنية زهر الليلاق، وعلي صفحة مياة البحيرة الصافية، ينزلق زورق صغير (جندول) من الصدف، تقف علي مقدمته جنية زهر الليلاق، ويقترب الزورق من الضفة، وتنزل الجنية إلى البر، وتدلف صوب الأمير الذي يشكو لها الضيق والملل، وقلة الطموح، وتبرمه بحياته اليومية الرتيبة، وتنصت إليه الجنية، حانية متعطفه، ثم تحكي له حكاية الأميرة النائمة، فلا يصدق الأمير روايتها، ومن ثم تقترح أن تعرض علي ناظريه شبح الأميرة، فيخر علي ركبتيه، ويتوسل إليها أن تمن عليه بهذه المكرمة، فتحرك الجنية عصاها السحرية فتمتلئ الساحة بالجنيات، يرفلن في ثياب بيضاء خفيفات الوزن، رشيقات القد، وكأنهن غمامة عابرة، محملة بندف الثلج.

وتحرك الجنية عصاها مرة ثانية، وإذا بشبح أورورا الجميلة يلوح واثبا في الساحة، وتتحرك عواطف الأمير، ويتلظي وجدانه، ويهيم حبا بهذا المخلوق الشفاف، وهو الذي كان حتي هذه اللحظة كئيب النفس، ويحاول الأمير أن يمسك أورورا ويضمها إلى صدره، ولكن الجنية تحرك عصاها فتقبض إثنتان من الجنيات ذراعيه، فإذا إبتعد الشبح، أرخت الجنيتان قبضتهما، فيضم الأمير يديه فرحا، ويدلف الشبح إلى جواره، ويضع يده برقه علي ذراعه، وتمر دقيقة يختفي الشبح بعدها في قلب الغابة، وتنضم الجنيات بعضهن البعض فيشكلن خطين مائلين متوازيين، ويلوح الشبح مرة ثانية، ويمرق مخترقا الطريق الممتد بين الخطين، فيدخل فيه ويخرج منه، وفي أعقابه الأمير، يطارده بأقصي سرعة، علي أنه كلما أوشك الأمير علي إمساك الشبح، لوحت جنية زهر الليلاق بعصاها البراقة، فيتوقف، ويمتنع عليه ما يريد.

بعد هذا تنضم الجنيات إلى بعضهن البعض في دائرة تحيط بالشبح وجنية زهر الليلاق، وتلوح هذه الكتلة من الموسلين في منظر رائع منسجم يحاكي تفتح وردة بيضاء، ويدب

اليأس في نفس الأمير، فيتجول حول هذا الحصن المنيع حتي يخرج الشبح من الدائرة ويرقص حولها، وهنا يقبض عليه الأمير، ويضمه بقوة بين ذراعيه، ويتأرجح الشبح أماما وخلفا، ثم ينفلت من قبضة الأمير، ويحلق في الجو متجهاَ جنوب الغابة، وكأنها ريشة حملتها نسمة عابرة.

وهنا تشكل الجنيات مجموعة لطيفة متشابكة الأذرع بحيث يتكون في وسطها عقد طبيعي، وتحرك جنية زهر الليلاق عصاها مرة أخري، فيظهر الشبح في وسط المجموعة، ويخطو علي أطراف قدميه جيئة وذهاباَ ويرتفع وينخفض، ويدور حول نفسه في حركات "بيرويت" متتابعة، تبدو وكأنها لا تنتهي، وتتوقف لحظة ثم تفر إلى الغابات وفي أذيالها الأمير، وتشكل الجنيات صفين، ويملن رؤوسهن، وكأنما هن كتل من ريش البجع، وترقص جنية زهر الليلاق مخترقة هذا الطريق المكون من نقبات تخفق وترفرف، وتثبت في الهواء، ثم تنزل، ثم تقفز، وهي في كل هذا تحرك عصاها حركة رشيقة رقيقة فوق رؤوس صويحباتها، ويتوقف الرقص وتتلاشي الجنيات كلهن ما خلا جنية زهر الليلاق.

عند هذا تعلو وجه الأمير مسحة من الكآبة لإختفاء الشبح الساحر، فتطيب جنية زهر الليلاق بخاطره، وتعده أن تصحبه إلى القصر الذي ترقد فيه الأميرة النائمة في انتظار قبلة من شفتي أحد أبناء الملوك، فتأخذه إلى زورقها الصغير، وتخطو داخل الزورق، وتدعوه أن يتبعها إلى مقدمته، وتحرك عصاها، فينزلق الزورق ببطء علي سطح الجدول مع تيار الماء أما الأمير فإنه يستقر إلى جانب الجنية منصتا إليها، فلا تفوته كلمة واحدة تتفوه بها في حين يدور بعينيه في كل إتجاه باحثا عن الأرض الموعودة.

ويزداد المنظر عتامة، ويحلو لك الظلام، ويرتفع ضباب تحيط بالزورق، حتي يحجبه عن الانظار، وبعد هنيهة يتكاثف الغمام، فيشكل ستاراَ يحجب الأشجار والجدول، علي أن المتفرج يستطع مع ذلك أن يتصور بعين خياله الزورق وهو لم يزل يتقدم في سيره صوب الشاطئ المجهول، وينبثق شعاع من الضوء يخترق الضباب الذي يبدأ في الانقشاع، فيمكن ثانية رؤية الزورق الصغير، وبه راكباه المتحمسان، ثم يلوح في الأفق شبح غامض، تتأكد بالتدريج معالمه وحدوده، فيبدو كتلا من صخور ضخمة، ثم يلوح صف من شجر الحور، ترتفع في وسطها الخطوط الرأسية والأبراج اللولبية التي تتميز بها القصور.

ويحتك الزورق بالشاطئ، فينزل راكباه إلى البر ويشرعان في إرتقاء المرتفعات.

المنظر الرابع: الصحو

بهو قصر الملك فلورستان، وقد أغرقته ظلمة حالكة، وثمة نسيج هائل، يقوم عليه إثنان من العناكب، ويتدلي من السقف حتي يصل إلى الأرض، وهناك شعاع من الضوء يكتفه الغبار، ينير وسط البهو حيث يوجد تابوت حجري رمادي اللون، ترقد علي سطحه الأميرة أوروراً، مستغرقة في النوم، يتردد في الجو أنغام موسيقي عذبة خافتة، ويبرز من اليسار شبح معتم، وكلما أقترب الشبح، أتضحت سماته، وأصبح من المستطاع التعرف علي السترة الحمراء والقبعة ذات الريش الخاصة بالأمير الفاتن، ويتلمس الأمير طريقه بخطوات حذره، وهو يتطلع دهشا إلى مظاهر التدهور والإهمال التي تقابله أني سار، ويبصر التابوت فيتقدم منه حتي يبلغه، فيرتقي الدرجات الموجودة عند قاعدته، ويرنو بأسي إلى هذا الجسم الذي يتمثل فيه شبح الغابة وينحني فوقه ويلثم شفتيه، وفي الحال يقصف الرعد، وتفتح الأميرة عينيها، وتنهض بتؤدة فتجلس معتدلة، ويتناول الأمير يدها ويرفعها حتي تقف علي الأرض. وتصدح موسيقي تعبر عن النصر، وفي لمح البصر يضاء القصر بأنوار ساطعة، ويختفي التابوت تحت أرض البهو، ويتحول نسيج العنكبوت إلى تراب، أما المنظر الذي يصافح الآن العيون فإنه فريد في روعته وجلاله، فالبهو تحف به مجموعات من العمد المذهبة السامقة، وإلى الخلف سلم ذو درجات عريضة مقوسة تؤدي إلى بواك ذات عمد ضخمة، تخترقها علي مسافات متساوية أبواب عالية ذات عقود تؤدي إلى غرفات أخري، وإلى اليسار طريق ذو درجات يحده من الجانبين درابزين حجري، وإلى اليمين منصة مرتفعة فوقها عرشان، يسير الأمير والأميرة في إتجاه المنصة حيث يستقبلهما كانتالبوت الذي يرتدي عباءة نفيسة من نسيج حريري موشي بالذهب، ويردد السقف الشامخ أصداء النغم الذي ترسله الأبواق، ويسير موكب مهيب هابطا السلم الأيسر، ويتقدم الموكب أربعة من فتية الأشراف في ملابس خضراء، يتبعهم حامل العصا البيضاء، ثم يأتي الملك وهو يتألق في زيه الرسمي، الموشي بالذهب وخوذته المزينة بالريش ويتدلي من كتفيه ذيل طويل أرجواني يحمله إثنان من الفتية وفي يده الكرة والصولجان الرمزيان، ويسير خلف الملك زنجيان في ثوب أبيض وأصفر ذهبي ، وخلفهما الملكة وقد إنتظم شعر رأسها بمروحة عالية من ريش النعام، يتبعها فتية وزنوج، يحملون ذيل ثوبها المصنوع من قطيفة زمردية، وتتشكل مؤخرة الموكب من سادة وسيدات من بولونيا، فالسيدات يرتدين نقبات قصيرة موشاة بخيوط ذهبية، وصدرات من نسيج فضي، أما السادة البولونيون فيرتدون سترات بيضاء مطرزة بالذهب فوق سراويل خضراء منتفخة، ودثار لكتفين من قطيفة سوداء بطنت حواشيها بفرو الفاقم، وعلي رءوسهم خوذات برونزية تزينها ريشات خضراء وسوداء، وتقف فصيلة

الجنود البولونية منتظمة من صفين أمام البواكي، ويرحب الملك والملكة بابنتهما المحبوبة، ويزوجونها من الأمير الذي أنقذها وأنقذهم جميعاً من ربقة السحر، وتصدح الأبواق بألحان بهيجة تدعو الضيوف للحضور وتهنئة العروسين، وهؤلاء الضيوف هم أصدقاء الأميرة منذ طفولتها، وهم شخصيات أساطير "بيرو" Perault المشهورة، فيأتي من اليسار هارلكان، وكولومبين، وبيرو، ويرقصون رقصة ثلاثية سريعة، ومن اليمين تأتي بيريت التي تثب وتتمايل من جانب إلى أخر، وتختتم بحركة بيرويت، ثم ينسحب الثلاثة، وتعود كولومبين فترقص فرحة، وتؤدي إيماءات صغيرة برأسها، ويدخل بيرو وهارلكان، فيرقص بيرو وحده في حين يؤدي هارلكان وكولومبين رقصة ثنائية، ثم يخرج الثلاثة ويظهرون بعد ذلك بجوار البواكي، ويقفز كل منهم فيصل إلى أحد أركان الغرفة، ثم يجتمعون مثني مثني: ببيريت وهارلكان في البداية ، ثم بيرو وكولومبين، وفي ختام الرقصة ينصرف الأربعة خارجين.

وفي هذه اللحظة تأتي "القطة البيضاء"، وتمثلها راقصة ترتدي نقبة قصيرة مزينة بفراء أبيض وعلي رأسها قلنسوة بيضاء مزودة بأذنين قصيرتين، وتتحرك بوثبات قصيرة، يليها "القط ذو الحذاء" وهو قط رمادي كبير يمشي علي رجليه الخلفيتين، ويرتدي زوجا من الأحذية الطويلة، بنية اللون، وسراويل حمراء، وقد ثبت علي كتفه الأيسر شريطاً أحمر عريضا يرمز إلى إحدي طبقات الأشراف، ويطارد القط الكبير القطة البيضاء، وتستثيره هذه بشتي طرائق الدلال والإغراء التي تعرفها فصيلة القطط، فتميل برأسها إلى الجانب وتهرش ذقنها بخفة، ثم تمرق مبتعدة، فيتبعها حبيبها، وهو يمر بيده علي شاربه الطويل، ويدور الإثنان حول بعضهما البعض بخطوات حذرة، ثم يحك كل منهما ظهره بظهر رفيقه حتي تغتاط القطة البيضاء فتخدش القط الرمادي الذي يثب خلفاً وقد رفع مخالبه دفاعاً عن نفسه ثم يحاول أن يلاطفها، فتولي الأدبار وتختفي عن الأبصار، ويقفز القط ذو الحذاء خلفها فيطاردها.

وتتغير الموسيقي، وتدخل الأميرة المسحورة يتبعها "العصفور الأزرق" وترقص الأميرة بخطوات سريعة قصيرة، ثم تتكئ علي الراقص الذي يمثل "العصفور الأزرق" فتدور علي قدم واحدة، في حين تدق القدم المرفوعة علي القدم المستقرة علي الأرض، ويقفز العصفور الأزرق مبتعداً وتتقدم الأميرة علي أطراف قدميها، ثم تدور بحركة بيرويت، ويأتي رفيقها إلى جوارها فترتمي بين ذراعية، ويوقعها هذا بحركة سريعة فوق كتفيه، ثم ينزلها إلى الأرض حتي يجثو علي إحدي ركبتيها.

وهنا يرقص الطائر الأزرق، فيذهب إلى البواكي، وإذ يتغير إيقاع الموسيقي فيصبح عريضاَ متأرجحاَ، فإنه يعبر البهو بوثبات طويلة، ثم يقفز إلى أعلي، وتتقاطع ساقاه سريعاَ في مجموعة حركات.

وتعود الأميرة فترقص بتؤدة مؤدية مجموعة متتابعة من أوضاع الأرابيسك، ثم تدور بحركات بيرويت، وترقص بسرعة علي أطراف قدميها، ثم تنزل علي واحدة، وإحدي يديها مرفوعة برشاقة إلى شفتيها.

ويعود الطائر الأزرق فيعبر الغرفة في سلسلة من الحركات، وتدور الأميرة عدة دورات "بيرويت" ثم يشترك الراقصان في رقصة ثنائية، ثم تخرج الأميرة ويقفز العصفور الأزرق إلى أعلي، ويدور في الهواء، ثم يهبط إلى الأرض، وبقفزة واحدة يغيب عن الأنظار، وتتوالي بعد ذلك الرقصات.

يتقدم الأمير يقود الأميرة، ويرقص الإثنان معاَ، وتتقدم السيدات والسادة البولونيون، مثني مثني، ويؤدون رقصة "مازوركا" ثم يرقصون في دائرة، وبعدها يسيرون صفاَ واحداَ إلى وسط البهو. وينضم إليهم كل الشخصيات الخيالية، ويتمايلون حتي يشكلوا صفاَ واحداَ ويبرزون الإيقاع الموسيقي بدق أقدامهم علي الأرض دقاَ عنيفاَ، وقذف أذرعتهم إلى أعلي، ثم ينقسمون إلى أربع دوائر تلف مرارا وتكراراَ، ثم ينضمون ليكونوا أربعة صفوف تتقدم ولكنهم يقعون علي الأرض فجأة وقد بسط كل منهم ساقيه.

المصدر / كتاب عالم الموسيقي.

الكاتب / د. زين نصار.